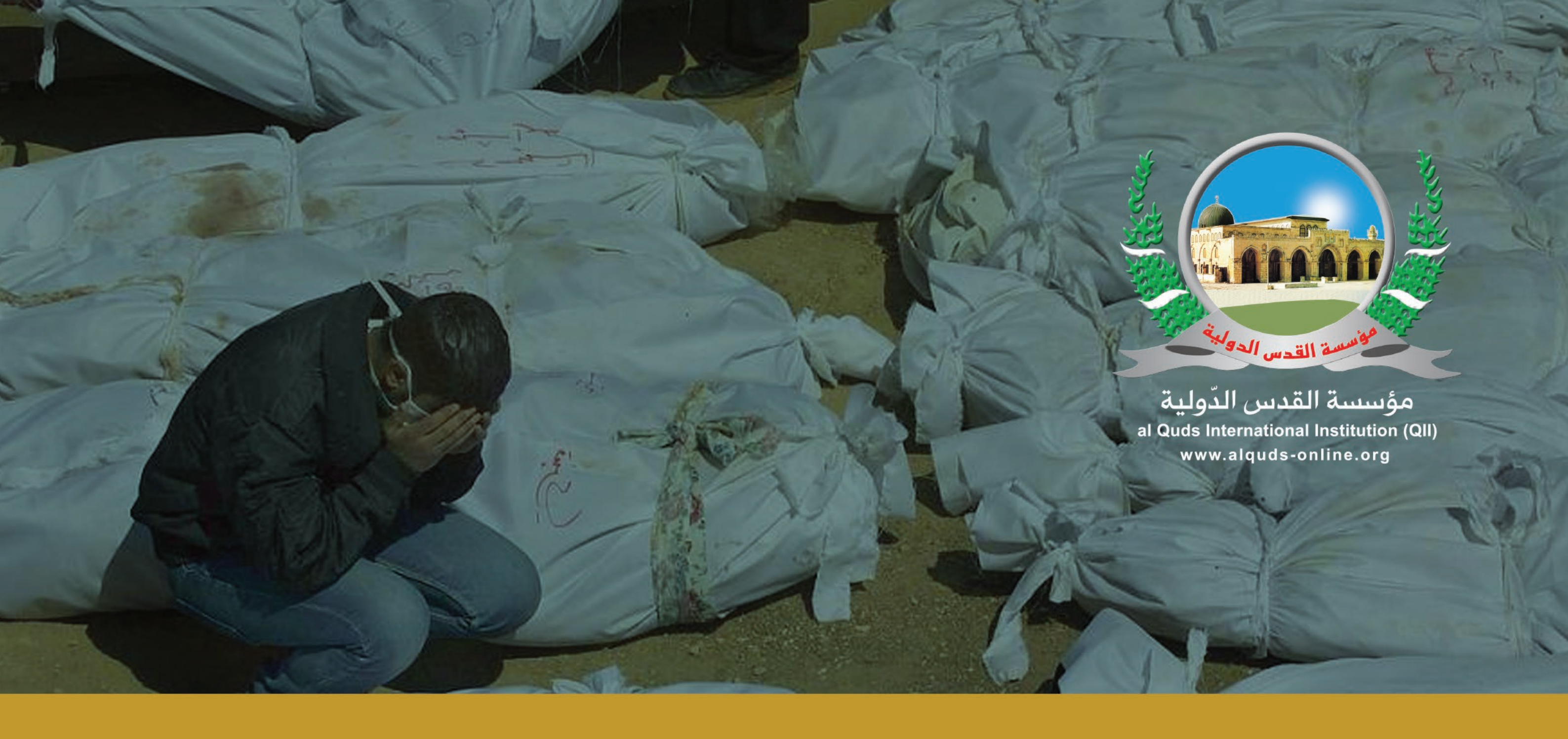


18 عامًا على انتفاضة الأقصى:
ما الذي يؤخّر اندلاع انتفاضة ثالثة؟

إعداد
براءة درزي

قسم الأبحاث والمعلومات
مؤسسة القدس الدّولية

18عامًا على انتفاضة الأقصى:

ما الذي يؤخّر اندلاع انتفاضة ثالثة؟

إعداد:

براءة درزي

قسم الأبحاث والمعلومات

مؤسسة القدس الدوليّة

أيلول/ سبتمبر 2018

18 عامًا على انتفاضة الأقصى:
ما الذي يؤخّر اندلاع انتفاضة ثالثة؟

مقدّمة:

في 2000/9/28، اقتحم أريئيل شارون، رئيس حزب "الليكود" وزعيم المعارضة الإسرائيلية آنذاك، المسجد الأقصى يرافقه حوالي 2000 جندي لحمايته، بموافقة من إيهود باراك (حزب العمل)، رئيس حكومة الاحتلال آنذاك. في أثناء الاقتحام، صرّح شارون أنّ الأقصى سيبقى منطقة إسرائيليّة، فيما اعتدت عناصر الأمن المرافقة له على المصلّين الموجودين في المسجد الذين استفزّهم اقتحام شارون وتصريحاته.

أدّت الاعتداءات الإسرائيليّة في الأقصى إلى استشهاد 7 فلسطينيين وإصابة 250 آخرين بجروح، فيما جرح 13 جنديًا إسرائيليًا. ولم تلبث المواجهات أن توسّعت وامتدّت



إلى أحياء القدس ومناطق الضّفة الغربية المحتلّة. ولم يلبث أن انتشر مقطع فيديو يصوّر قتل الاحتلال الطفل محمد الدرّة في 2000/9/30 في أثناء احتمائه بوالده قرب مكعّب من الأسمنت في غزّة، ما أعطى زخمًا للانتفاضة بعدما نقلت المشهد محطّات التلفزة في أنحاء العالم.

استشهد في انتفاضة الأقصى، أو الانتفاضة الثانية، 4412 فلسطينيًا، وأصيب 49 ألفًا، فيما بلغ عدد القتلى في صفوف الاحتلال 1100 إسرائيلي، بينهم 300 جندي، وجرح نحو 4500 آخرين. استمرّت الانتفاضة نحو خمس سنوات، وتوقفت في 2005/2/8 مع توقيع اتفاق للتهدئة بين الفلسطينيين والإسرائيليين في شرم الشيخ جمع كلاً من محمود عباس، المنتخب حديثًا خلفًا للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، ورئيس حكومة الاحتلال أريئيل شارون. وعلى أثر الاتفاق، أعلن وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط أنّ مصر والأردن قررتا إعادة سفيريهما إلى "تل أبيب"[1].

4,412 شهيداً فلسطينياً

49,000 جريح فلسطيني

1,100 قتيل إسرائيلي

4,500 جريح إسرائيلي

أسباب انتفاضة الأقصى: ردّ على اقتحام شارون للأقصى في سياق مسار فاشل من المفاوضات

كان اقتحام شارون المسجد الأقصى الشرارة التي فجّرت مجموعة من التّراكمات التي تكثّفت منذ توقيع اتفاق أوسلو عام 1993، فكانت انتفاضة الأقصى بعد سبع سنوات عجاف من الاتفاق لتعلن الرفض الشعبي لمسار التسوية والتنازلات. فمسار "العملية السياسية" التي انطلقت مع اتفاق أوسلو

1 عباس وشارون يعلنان الهدنة والفصائل تتمسك بشروطها، الجزيرة، 2005/2/8 https://tinyurl.com/yata5jr7



تعزّز بجولات أخرى من المفاوضات العقيمة في واي ريفر (1998)، وقمة كامب ديفيد الثانية (2000) ومن ثم طابا (2001)، فكانت السلطة الفلسطينية تقدّم التنازلات تحت عيون الراعي الأمريكي للمفاوضات فيما تراكم دولة الاحتلال المزيد من "الإنجازات". وبالتوازي، لا أفق لإنهاء الاحتلال، فيما "إسرائيل" تزيد من وتيرة الاستيطان والتهويد في القدس والاعتداء على المسجد الأقصى، وتهويد المسجد الإبراهيمي في الخليل بعد نجاحها في فرض مخطّط التّقسيم الزماني والمكاني فيه، بالإضافة إلى هدم منازل الفلسطينيين، ومصادرة أراضيهم، وإحكام الخناق على اقتصادهم، وتعزيز القبضة الإسرائيليّة على مفاصل حياتهم كافة.

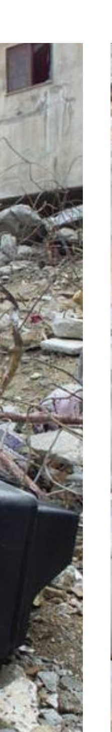
أبرز محطات انتفاضة الأقصى

تميزت انتفاضة الأقصى بعسكرتها، والانتقال من الحجارة والقنابل الحارقة التي استعملها الفلسطينيون في الانتفاضة الأولى عام 1987 المعروفة بانتفاضة الحجارة، إلى السلاح والعمليّات الفدائيّة.

- نفذت فصائل المقاومة عمليات استهدفت المطاعم والحافلات الإسرائيلية، وعمليات تفجير دبابات الميركافاه.
- عملية اغتيال رحبعام زئيفي، وزير السياحة في حكومة الاحتلال نفذتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في 2001/10/17 في فندق حياة ريجينسي في شرق القدس المحتلة.

- تطوير القدرات الصاروخية لفصائل المقاومة، وقد أطلقت كتائب القسام، الجناح العسكري لحماس الصاروخ الأول المصنع محليًا على مستوطنة سديروت، وذلك في 2001/10/26.
- شهد عام 2002 تحديدًا أبرز عمليات المقاومة ضدّ الاحتلال، ومنها: عيون واد الحرامية في 2002/3/3 التي قتل فيها ثائر حماد من كتائب شهداء الأقصى 11 جنديًا ومستوطنًا على حاجز عسكري إسرائيلي شمال رام الله وجرح 9 آخرين بـ26 رصاصة[1]، وعملية عين عريك غرب رام الله التي نفّذتها كتائب القسام في 2002/6/19، وأدت إلى مقتل 6 صهاينة وإصابة آخر[2]، وعملية الخليل المعروفة بعملية زقاق الموت ونفذها مقاومون من سرايا القدس التابعة لحركة الجهاد الإسلامي في 2002/11/15 فقتلوا فيها 14 إسرائيليًا من الجنود والمستوطنين بالإضافة إلى إصابة 15 آخرين[3].
- معركة مخيم جنين: نفّذت قوات الاحتلال عملية توغّل في مخيم جنين استمرت من 1 إلى 2002/4/15 استعان الاحتلال خلالها بالطائرات والدبابات وناقلات الجند نكلت فيها بالمدنيين الفلسطينيين وواجهها حوالي 200 من أفراد المقاومة المسلحين بأسلحة خفيفة. ارتكب الاحتلال مجزرة في المخيم المحاصر إذ قتل 58 فلسطينيًا، واعترف الاحتلال بمقتل 23 من جنوده وإصابة 52 آخرين على يد المقاومة الفلسطينية، وكان بين القتلى قائد وحدة الهبوط المظلي[4]. أدارت غرفت عمليات مشتركة المعارك التي خاضها مقاومون من القسام وسرايا القدس، وكتائب شهداء الأقصى، وعكست معركة جنين التّضامن والتّعاون والوحدة بين مختلف قوى المقاومة، وأثبتت إمكانية التّعاون الميداني بين مختلف قوى المقاومة لمواجهة الاحتلال.

1 عملية عيون الحرامية، منتدى شبكة فلسطين للحوار، https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=113165
2 موقع القسام، https://www.alqassam.net/arabic/battles/details/71
3 موقع سرايا القدس، 2009/8/31. https://tinyurl.com/y8e6sz7q
4 دنيا الوطن، 2014/4/3. https://tinyurl.com/yce8prlw





وسائل الاحتلال لقمع الانتفاضة: عمليات عسكرية ومجازر، واستهداف القادة الفلسطينيين

عمل الاحتلال على قمع انتفاضة الأقصى منذ أولى لحظات اندلاعها، وتعدّدت وسائله بقدر حاجته إلى القضاء على أي محاولة لتنفيذ عمليات ضد الاحتلال، وهذه الوسائل هي ما يسمّيها الاحتلال بالوسائل الردعية،

وهي في واقع الحال عقوبات جماعية ضدّ الفلسطينيين، وقد عمد إلى مثيلاتها للقضاء على انتفاضة القدس التي اندلعت في تشرين أول/أكتوبر 2015 [1]. وكان من بين الإجراءات بناء الجدار العازل حول الضفة الغربية، وإقامة مناطق أمنية عازلة وتعزيزها بأسيجة إلكترونية، لا سيما في قطاع غزة، لدرء خطر الصواريخ التي تستهدف المستوطنات ومنع تسلل المقاومين إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948. كذلك، استعمل الاحتلال الوسائل التقنية والتكنولوجيا المتطورة لرصد تحركات المقاومة في الضفة والقطاع، وعمد إلى استعمال الرصاص الحي ضد الفلسطينيين، والرصاص المتفجّر، والمروحيات والدبابات، والقنص بالأسلحة الكاتمة للصوت. ونفّذ الاحتلال عمليات توغل في الضفة والقطاع، وارتكب الجرائم والمجازر، كان من بينها مجزرة مخيم جنين عام 2002، وعمليات اقتحام المنازل والمنشآت المدنية بذريعة

1 ستنشر مؤسسة القدس الدولية ملفًا حول أبرز الإجراءات التي اتخذها الاحتلال لقمع انتفاضة القدس عشية الذكرى الثالثة لاندلاع الانتفاضة في شهر تشرين أول/أكتوبر 2018.

مطاردة المقاومين، وتدمير المنازل والمدارس ورياض الأطفال[1]. كذلك، نفّذ الاحتلال عملية السور الواقي التي طالت الضفة الغربية المحتلة بهدف وقف عمليات المقاومة الفلسطينية التي يسميها الاحتلال "إرهابًا".



وإلى جانب ذلك، حاول الاحتلال إضعاف الانتفاضة وتشتيتها عبر اغتيال أبرز قادة المقاومة الفلسطينية ضمن محاولاته لجم انتفاضة الأقصى لإبقاء الشارع من دون قيادة، ولإضعاف الفصائل وتشتيتها، فاغتال الشيخ أحمد ياسين (آذار/مارس 2004)، مؤسس حركة حماس، وعبد العزيز الرنتيسي (نيسان/أبريل 2004) من حركة حماس، وأبو علي مصطفى (آب/أغسطس 2001) أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ورائد الكرمي، مسؤول كتائب شهداء الأقصى. كذلك اعتقل الاحتلال أحمد سعدات، أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بعد اتّهامه بالمسؤولية عن اغتيال وزير السياحة في حكومة الاحتلال رحبعام زئيفي، ومروان البرغوثي (نيسان/أبريل 2002) من أبرز قادة فتح، وعددًا آخر من القادة الفلسطينيين.

تداعيات الانتفاضة على الاحتلال: خسائر عسكرية واقتصادية ... وجدار عازل

على الرّغم من الخسائر البشرية والاقتصادية التي وقعت على الجانب الفلسطيني إلا أنّ ذلك لا يقلّل من أهمية الانتفاضة في مسار النضال الفلسطيني، ولا يلغي أهميتها كمحطة للمقاومة، فمقاومة الاحتلال دونها أثمان لا يتحقّق التّحرير من دونها. وإذا نظرنا إلى الانتفاضة فقد كان واضحًا عدم التكافؤ في التجهيزات والسلاح والعدّة والعدد، ومع ذلك فقد سجّلت الانتفاضة نقاطًا مشرقة في مسار تطور آليات المقاومة،

1 عدنان أبو عامر: الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه انتفاضة الأقصى 2000-2006، 2018/1/16. http://adnanabuamer.com/post/132



من حيث الاستعداد والعزيمة، والالتحام مع العدوّ، وألحقت الخسائر بالاحتلال، جيشًا ومستوطنين، وكسرت صورة "الجيش الذي لا يقهر" بهزيمة جنوده على يد الفلسطينيين في الحواري والمخيمات. ومن أبرز التداعيات[1]:

- بلغ عدد القتلى الإسرائيليين 1100، منهم 300 جندي.
- إعطاب 50 دبابة من نوع ميركافاه وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات الإسرائيلية.

1 للمزيد حول التداعيات:
عدنان أبو عامر: الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه انتفاضة الأقصى 2000-2006، 2018/1/16. http://adnanabuamer.com/post/132
فضل مصطفى النقيب: تأثير انتفاضة الأقصى في الاقتصاد الإسرائيلي، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14 العدد 54 ربيع2003.

خسائر في قطاع السياحة، وتراجع متوسط عدد السياح إلى 150,000 سائح في أكتوبر 2000 بعدما كان المتوسط الشهري للأشهر التسعة الأولى من العام 225,000، ووصل إلى 50,000 سائح مع نهاية عام 2000.

- سببت الانتفاضة، ضمن مجموعة من العوامل الأخرى، خسائر اقتصادية وصلت عام 2001 إلى 6 مليار دولار، و12.7 مليار دولار عام 2002.
- التأثير في وصول العمال الفلسطينيين إلى عملهم في «إسرائيل» والمستوطنات، ما أعاق الإنتاج الإسرائيلي، لا سيما في قطاعي البناء والزراعة.

- تقليص حجم الصادرات الإسرائيلية إلى الضفة والقطاع.
- زيادة الإنفاق العسكري في الموازنة.
- فقدان البيئة المناسبة للاستثمار بسبب انعدام الاستقرار الأمني.
- الجدار العازل: لعلّ من أهم التداعيات التي ترتبت على انتفاضة الأقصى الجدار العازل في الضفة الغربية وشرق القدس الذي بدأ الاحتلال بناءه في عام 2002 بذريعة محاربة الإرهاب، ومنع الفلسطينيين من الوصول إلى الأراضي المحتلة عام 1948 وتنفيذ عمليات فدائية في «العمق الإسرائيلي». وعلى الرّغم من الأثر السلبي للجدار في الجانب الفلسطيني إلا أنّ ذلك الأثر ينبغي ألا يمنع من رؤية دلالات بناء الجدار بالنسبة إلى العقيدة الصهيونية، فدولة الاحتلال التي كانت تتكلّم عن امتداد لها بين البحر والنهر حدّدت مجالها بين أسوار الجدار، وسقطت في عقلية الغيتو والانعزال، ما يؤكّد أنّها جسم غريب في المنطقة لا يتآلف مع نسيجها ويدرك أنّه غير مقبول، مثل أيّ احتلال.

18 عامًا على انتفاضة الأقصى: ما الذي يمنع اندلاع انتفاضة شاملة مشابهة؟

ما أشبه اليوم بالأمس، بل ما أسوأ اليوم مقارنة بالأمس!



لا تختلف الظروف اليوم كثيرًا عن الظروف التي اندلعت على خلفيتها انتفاضة الأقصى عام 2000 من الاعتداءات الإسرائيلية على الأرض والإنسان والمقدسات، بل هي اليوم ظروف أصعب واعتداءات أكبر: فالهدم مستمر، والتهويد على أشدّه، والاعتداءات

على الأقصى تتصاعد، والاقتحامات السياسية لا تغيب حتى تطلّ من جديد، والاحتلال يمنع المسلمين من دخول المسجد، ويعتدي على موظفي الأوقاف ويمنعهم من أداء عملهم.

وفوق ذلك، فإن "العملية السياسية" معطلة، والاحتلال يتمادى في فرض الحقائق على الأرض وجولات المفاوضات التي بدأت في تموز/يوليو 2013 انتهت بمزيد من التهويد، والاستيطان على أشده، فما الذي يمنع انتفاضة شاملة؟ أو ما الذي يمنع تحول انتفاضة القدس إلى انتفاضة شاملة تتوسع إلى الضفة الغربية المحتلّة على غرار انتفاضة الأقصى؟

ثمّة مجموعة من العوامل التي تتقاطع وتتشابك لتعرقل مجتمعة اندلاع انتفاضة شاملة، متعلقة بالوضع الفلسطيني الداخلي، والوضع الإقليمي، والتطورات في المنطقة التي لا يمكن نفي تأثيرها في التطورات الجارية في الأراضي المحتلّة. وتتنوّع هذه العوامل ما بين السياسية والأمنية والاقتصادية وغيرها، ولكن من أبرزها التّنسيق الأمني الذي ألزمت به السلطة الفلسطينية ضمن مسار أوسلو، وحرصت عليه على الرّغم من أنّ دولة الاحتلال تنصّلت من الاتفاق. وقد أظهر تقرير للخارجية الأمريكيّة حول العلاقات بين إدارة ترمب والسلطة الفلسطينية، وفيه تقييم لمجريات الأمور عام 2017، أنّ التنسيق الأمني مستمر من قبل السلطة، وجاء في التقرير أنّ الأجهزة الأمنيّة التابعة للسلطة في رام الله تعمل بكلّ قوّتها من أجل منع "العمليات الإرهابيّة"، وتنشط بشكلٍ ممتازٍ من أجل كبح نشاط حركتي الجهاد الإسلاميّ وحماس في الضفّة الغربيّة المُحتلّة، وتحديدًا في المناطق الواقعة تحت سيطرة

السلطة بموجب اتفاق أوسلو المُوقّع بين الطرفين الإسرائيليّ والفلسطينيّ في العام 1994.[1]

وفوق ذلك، فإن الاحتلال وسّع من الانقضاض على الفلسطينيّين في الضّفّة وشرق القدس منذ اندلاع انتفاضة القدس في تشرين أول/أكتوبر 2015 ليمنع توسعها وتحولها إلى انتفاضة شاملة وفرض سلسلة من العقوبات التي سمّاها إجراءات ردعيّة لمنع من يفكر في تنفيذ عملية ضد الاحتلال من تنفيذها فعلاً. هذه الإجراءات لم تقتل إرادة المقاومة ولكنّها صعبت من إمكانية تنفيذ عمليات، ولذلك تراجعت العمليات منذ انطلاقها في 2015 وأصبح تنفيذها صعبًا ولكن غير مستحيل، ولذلك تنفذ عملية في كل مرّة يتمكن الفلسطينيون من تجاوز إجراءات الاحتلال، والتنسيق الأمني.

لكن مع ذلك، تبقى هذه العوامل معوّقات ظرفية تؤخّر اندلاع الانتفاضة أو الحراك الشامل ضدّ الاحتلال ولكن لا تجتثّه إلى الأبد. فالاحتلال لا يزال قائمًا، والفلسطينيون لم يتخلّوا عن إرادة تحرير الأرض واستعادة الحقوق، وانتفاضة القدس مستمرّة على تفاوت وتيرتها. والاحتلال يدرك أنّ ثمة احتمالية كبيرة لتفجر الوضع في الضفة، وقد عبّر عن ذلك غادي إيزنكوت، رئيس أركان الاحتلال، الذي حذّر من تدهور خطير بالوضع الأمني على الساحة الفلسطينية في الضفة، في أثناء مشاركته في الجلسة الأسبوعيّة لحكومة الاحتلال في 2018/9/16. وأشارت تسريبات صحفية إلى أنّ إيزنكوت قال في الجلسة إن "احتمالية اشتعال موجة من العنف في الضفة تصل إلى 80%، مضيفًا أنه "في حال اندلعت هذه الموجة في الضفة فإنها ستكون أخطر من حربٍ بقطاع غزة، إذ يستدعي ذلك استدعاء أعداد كبيرة من جنود جيش الاحتلال، حيث نقاط الاحتكاك مع المستوطنين بالضفة أكثر من غزة".

وعلى أيّ حال، فإنّ معظم العمليّات المنفّذة منذ اندلاع انتفاضة القدس نفّذها فلسطينيون من الضفة المحتلة، ما يعني أنّ أهل الضفة لم يلقوا سلاح المواجهة، ولم يخضعوا لعمليّة التدجين التي فرضتها السلطة بالتوافق مع الاحتلال. لذلك، فإنّ التخوّف الإسرائيلي يبقى في محلّه، وتبقى احتمالات اندلاع انتفاضة قائمة بانتظار حدث يشعل فتيلها.

---

1 Country report on terrorism 2017: Country reports: Middle East and North Africa, State Department

الإدارة العامة

شارع الحمرا - بناية السارولا - الطابق 11

هاتف: 00961-1-751725

فاكس: 00961-1-751726

ص.ب: 113-5647 بيروت لبنان

info@alquds-online.org

www.alquds-online.org

